مجلة "نتائج الفكر" الصادرة عن معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة
العدد 05، 06. السنة 2020، ص46–61
ISSN 2477-992x / EISSN 2773-2762

دقة اللفظ في النص القرآني وتباينه أثناء الترجمة (آيات من سورة يوسف أنموذجاً)

د. عطاوي الطيب[1]

1_ المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة البريد الإلكتروني: tayebgouray@gmail.com

مُلخّص البحث

إن البحث في القرآن الكريم لهو أمر في غاية الخطورة من حيث كونه يجب التعامل معه بدقة وحذر ، فهو كلام رب العالمين . وهذا الموضوع الذي نحن بصدد دراسته يعالج أحد الجوانب المهمة فيه ؛ إذ يتطرق إلى قضية اللفظ داخل النص القرآني والدقة المتناهية في وَضْعِهِ بين بقية الألفاظ تشكل مجتمعة تراكيب تفوق تراكيب البشر مهما أوتوا من بلاغة خطاب أو فصاحة كلِم .

كما تطرق البحث إلى مسألة نقل اللفظ القرآني إلى اللغات الأخرى أثناء الترجمة ، والإشكال الذي يُصادفه القارئ أثناء قراءة النص الجديد في شكله المتَرجم ومدى تأثير ذلك في فهم النص القرآني بصورة عامة .

الكلمات المفتاحية: صوت ؛ فونيم ؛ مورفيم ؛ كلمة ؛ نُطق ؛ لغة

Abstract :

La recherche dans le plaisir Coran est très importante en ce qu'elle doit être traitée avec soin , avec précaution , il est la parole du Seigneur des mondes . Tel est le thème que nous allons l'étudier aborde l'un des aspects importants de ce ; elle touche à la question de la formulation du texte du Coran et de la précision de position entre le reste des mots forment ensemble les structures emportent toutes les structures que les humains étant donné l'éloquence de la parole ou de l'éloquence des mots .

La recherche a également abordé la question du transfert du mot coranique dans d'autres langues au cours de la traduction , façonne hasard que le lecteur en lisant un nouveau texte sous la forme du traducteur et l'étendue de l'effet sur la compréhension du texte coranique en général

Keywords: : Voice ، phoneme، morphème ، Word ، Pronounce ، language.

المؤلّف المرْسِل: عطاوي الطيب ، الإيميل: tayebgouray@gmail.com

المقدمة:

أجمع الباحثون في حقل الدراسات القرآنية على أن القرآن الكريم في جوهره أسمى من غيره من كلام البشر ، وقد تحداهم في أكثر من موضع بأن يأتوا بمثله ولم يستطيعوا ؛ كونهم عاجزين عن مجاراته ، لا ترتقي أساليبهم إلى درجة كماله ؛ على الرغم مما عرفوه من فصاحة الكلم وبلاغة الخطاب في عصورهم المتقدمة حين نزوله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

والقرآن الكريم في مجمله بديع في لفظه ، متين في تراكيبه ، جميل في عباراته ، كل سورة منه تنبئُ عن قوة النظم ، وكل آية فيه تبيِّن عن قدرة الصياغة وجودة السبك ، فهو إذاً معجز في ذاته ، لا تنتهي معجزاته ولا تنضب معانيه ، كل كلمة فيه موضوعة بإحكامٍ ولا ينبغي أن تكون إلا في ذاك الموضع التي وُضعت فيه .

وسورة يوسف واحدة من بين سور القرآن الكريم ؛ إذ فيها من الميزات ما يجعل القارئ المتأمل والباحث المتفحص يقف مبهوراً أمام عظمة هذا النظم العالي في مفرداته ، الحسن التركيب في جمله وعباراته ، المنفرد في حروفه ، البليغ في معانيه ، القوي في دلالاته وإيحاءاته والجميل في نغمه الناتج عن فواصل آياته .

وقد احتوت هذه السورة الكريمة على مجموعة من الخطابات السردية المترابطة فيما بينها المتسقة في معانيها بواسطة عدد من الحروف والأدوات التي تشد عضد هذه الخطابات ؛ حيث أسهمت بشكل ملحوظ في تباين الدلالة من سياق لآخر في مجمل آيات هذه السورة الكريمة . إضافة إلى الإيحاء والدلالة التي تشع من حروفه متكاملة « فكل لفظ في القرآن الكريم أختير مكانه وموضعه من الآية أو العبارة أو الجملة فإن غيره لا يسدُّ مسدَّه بداهة ، فقد اختار القرآن اللفظ المناسب في الموقع المناسب من عدَّة وجوه ، وبمختلف الدلالات ، إلا أن استنباط ذلك صوتياً يوحي باستقلالية الكلمة المختارة لدلالة أعمق ، وإشارة أدقّ ، بحيث يتعذر على أية جهة فنية استبدال ذلك بغيره ،

إذ لا يؤدي غيره المراد الواعي منه ، وذلك معلم من معالم الإعجاز البياني فيلفظ (تأويل) بدل لفظ (تفسير) في قوله تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ (يوسف ، 06) حيث التفسير هو الإخبار عن أفراد آحاد الجملة ؛ بينما التأويل الإخبار بمعنى الكلام ، وهو إرجاع الشيء إلى حقيقته ودليله [1] .

إضافة إلى أن التعبير العربي في مثل هاته المواضع دقيقٌ في اختيار اللفظة ؛ فالافتراس والأكل ـ على سبيل المثال ـ ليستا بمعنى واحد في قوله تعالى : ﴿ ... وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ (يوسف ، 13) ، إذْ يقال : أكل الذئب الشاة ولا يقال : افترسها [2] .

إضافة إلى أنّ « الافتراس معناه في فعل السبع القتل فحسب ، أصل الفرس دق العنق ، والقوم إنما ادّعوا على الذئب أنه أكله أكلاً ، وأنه أتى على جميع أجزائه وأعضائه ، فلم يترك مفصلا ولا عظماً ، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثرٍ باقٍ

يشهد على صحة ما ذكروه ، فادّعوا فيه الأكل ، ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة ، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى ، فلم يصلح على هذا أن يعبَّرَ عنه إلا بالأكل » [3] .

أما ترجمة اللفظ إلى اللغتين الفرنسية والانجليزية على سبيل المثال نجد أنها عبَّرت بالافتراس بدل الأكل :

(et je crains que le loup ne le dévore)[4] .

(I fear lest a wolf should devour him)[5] .

وأيضاً بالنسبة لكلمة (أخافُ) في الآية السابقة وليس (أخشى) ؛ إذ هناك فرق واضح بينهما قد تداركه الخطاب القرآني موضحاً الفرق بين الخشية والخوف ، حيث عبّر بالخوف دون الخشية ليفيد

أن ذلك كان منه على سبيل التوقع والشك لا على سبيل التيقن والجزم ؛ ومن أجل ذلك جاء النص القرآني بلفظة (أخاف) لتكون قطباً جامعاً بين يعقوب ونفسيته انطلاقاً مما يعطيه التآلف الوظيفي بين صيغتها المبنية للمعلوم وانسجامها الصوتي (الخاء والألف والفاء) ؛ والسبب في ذلك راجع إلى ارتباط الإيحاء بالجو النفسي والحال والمقام ؛ لذلك فهذه الميزة تشتمل عليها آيات الذكر الحكيم ؛ خاصة تلك التي تحوي مشاهد قصصية حيث تتلون الأحاسيس وتتجسد أدق المشاعر الإنسانية ، فالزركشي (ت 794 هـ) يقول : « لا يكاد اللغوي يفرّق بينهما ولا شك أن الخشية أعلى من الخوف ، وهي أشد الخوف ، فإنها مأخوذة من قولهم : شجرة خشية إذا كانت يابسة ، وذلك فوات بالكلية والخوف من قولهم : ناقة خوفاء إذا كان بها نقص وليس بفوات ... وفرق بينهما أيضاً بأن الخشية تكون من عظم المخشي وإن كان الخاشي قوياً ، والخوف يكون من ضعف الخائف ، وإن كان المخوف أمراً يسيراً ، ويدل على ذلك أن الخاء والشين والياء في تقاليبها تدل على العظمة ، قالوا : شيخ للسيد الكبير ، والخيش لما عظم من الكتان ، والخاء والواو والفاء في تقاليبها تدل على الضعف » [6] .

واللغات الأخرى لا تكاد تفرّق بين الخشية والخوف ؛ إذ هما عندها بمعنى واحد (fear) _ (crainte) :

(et je crains que le loup ne le dévore)[7] .

(I fear lest a wolf should devour him)[8] .

ومن ذلك كذلك كلمتا (جَاءَ) و(أتى) ؛ فالأولى تقال في الجواهر والأعيان ، والثانية في المعاني والأزمان ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ (يوسف ، 18) .

وعموماً فالقرآن في توظيفه للكلمات يراعي المنطق والدقة ؛ فهو ليس كمثل كلام البشر الذي يختلف أكثر من أديب حول لفظة وموقعها المناسب « بل نزلت كلماته منازلها على ما استقرت

عليه طبيعة البلاغة ... بحيث لو نزعت كلمة منه أو أزيلت عن وجهها ، ثم أدير لسان العرب كله على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها ، لم يتهيأ ذلك ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة » [9] .

ومن الألفاظ ذات الجرس الموسيقي (استبقا ، ألفيا) في قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ (يوسف ، 25) إذ وُضِعتا موضعاً حسناً ؛ فلم يقل الله سبحانه وتعالى ـ على سبيل المثال ـ تسابقا نحو الباب أو جريا نحوه ، وكذلك وألفت سيدها لما في ذلك كله من تشويه للمعنى فالله أدرى حيث يضع اللفظ ، وذاك كله من قوة اللفظ ودقة اختياره ، فهو لم يستعملهما حفاظاً على الدلالة الصوتية ؛ فكان الجرس الموسيقي الذي تحمله كلتا اللفظتين المختارتين سبباً من أسباب اختيار النص القرآني لهما من بين مرادفاتهما ، فقد أسهما في بيان البعد ؛ فالاختيار في حد ذاته مبني على مطابقة اللفظ للمعنى المناسب ؛ فالجزل للجزل والفخم للفخم والمتوسط للمتوسط ، وهكذا دواليك .

وفي ذلك يقول بشر بن المعتمر (ت 210 هـ) : « ومن أراد معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً ، فإن حق المعنى الشريف هو اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ، وعما تعوَّد من أجله أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس إظهارها وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما ، فكنَّ في ثلاث منازل فإن أولى الثلاث يكون لفظك وثيقاً عذباً ، وفخماً سهلا ، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً ، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدتَ ، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت » [10] .

ومن الألفاظ المختارة بدقة ـ في هذا الخطاب كذلك ـ كلمة (قدَّ) في قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ ﴾ (يوسف ، 25) ولم يقل : قطَّت ؛ لأن هناك فرق بينهما ، فالقدّ القطع طولا ، وكل شيء قطعته طولا فقد قددته ، وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) : « الفرق بين القطّ والقدّ : أن القطّ هو القطع عرضاً ومنه قطّ القلم ... والقدّ القطع طولا فقد قددته ، وفي الحديث : أن علياً ـ عليه السلام ـ كان إذا علا بالسيف قدَّ ، وإذا اعترض قطَّ » [11] .

(et elle lui déchira sa tunique par derriére)[12] .

(and she tore his shirt from the back) [13] .

فالقرآن يصوّر بدقة المشهد ولا يغفل عما تغفل عنه الترجمة ؛ كونها قامت بقطع القميص وتمزيقه دون توضيح منها إن كان طولا أو عرضاً .

كما كان لاختيار الكلمات دور أساس في بناء الجملة النصية ؛ كتوظيف (الذنب) بدل (الجُرم) في قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ (يوسف ، 29) فالذنب ما يتبعه الذم ، وهو القبيح من الفعل ، أما الجُرم ما ينقطع به عن الواجب ، وكلمة (خاطئ) بدل (مخطئ) ؛ كون الخاطئ في الدين لا يكون إلا عاصياً لأنه قد زلَّ عنه لقصده غيره ، والمخطئ يخالفه لأنه قد زل عما قصد منه [14] .

إذن السياق القرآني يبحث عن اللفظة المناسبة التي ليس فيها عِوج يخلُّ بالمقام ، ويضعها الموضع الأصلي الذي تليق بالموضع المناسب ، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن هذا القرآن عظيم في ألفاظه وتراكيبه ، ليس كمثله شيء من كلام البشر مهما حاولوا وأنى لهم يحاولوا ، وإذا كان جمال ألفاظه من مصدرٍ إلهي ، فهذا يعني بالضبط سُمُوَّ الفن القرآني مقارنة بالفن الأدبي ، وحجَّته في ذلك اللسان العربي الفصيح ، وطبيعة الفن ، وليس الدافع الديني ، إذ يُلمس السرَّ الالهي في الكلام المبين من خلال الآثار الجليَّة التي تدل على وجوب الاعتراف بالبيان لمن علَّم البيان ، وهذا السرُّ الالهي

ليس بخفيٍّ على متذوّق للعربية وفن الكلام ، وهذه الخاصية للمفردة القرآنية تسري في الآيات في تلاؤمٍ تامٍ ، ولا يمكن أن عدُّها تفضُّلًا أو ترفاً ذهنياً ، كما هي الحال في كثير من الأدب ، وهي ـ المفردة ـ سامية بنسبتها إلى مُنزِلِها في إطارٍ من البيان الذي يعيه العرب خاصة ، فعلى قدر ما تكون الجهة المبدعة قوية ، تخرج الكلمات قوية مؤثّرة [15] .

أما جملة (تراود) فإنها تحمل شحنات دلالية متعددة ؛ تتكاثف فيها الدلالات مجتمعة ؛ إذ « توحي بالجرأة والمبادرة ، وتوحي بالتوتر والحيرة التي تدفع إلى الإقبال والإدبار ، وهنا تصوير لمدى التوتر والحيرة التي تستبد بالمرأة عند تسلط هذه الشهوة ، لا سيما إذا طلبتها من طريق غير مشروع » [16] .

وكذا جملتيْ (أكبرنه ، استعصم) حيث وُضِعا موضعاً مناسباً في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ ﴾ (يوسف ، 31) ، ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ (يوسف ، 32) ؛ فلم يقل الله سبحانه وتعالى ـ على سبيل المثال ـ لما رأينه اندهشن ، وأيضاً ولقد راودته عن نفسه فامتنع لما في ذلك كله من تشويه للمعنى فالله أدرى حيث يضع اللفظ ، وذاك كله من قوة اللفظ ودقة اختياره ؛ إذ الشغاف مرتبة عليا من مراتب الحب والإكبار يجمع الدهشة والعظمة والإجلال ، والاستعصام هو الامتناع الشديد والإباء العنيف [17] .

إضافة إلى حسن اختيار الألفاظ في محلها دون خلل أو فساد في المعنى ؛ كمثل كلمة (ملة) بدل كلمة (دين) في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (يوسف ، 37) إذ المِلة اسم لجملة الشريعة ، والدين اسم لما عليه كل واحد من أهلها ، وهو ما يعتقده المرء من الإيمان بالله وملائكته ورسله [18] أيْ : إن يوسف فارق كل الأديان ـ التي ليست من دين الله ـ جملة وتفصيلا ؛

بينما الترجمة عبرت عنهما بمفهوم واحد ، على الرغم من الفرق الواضح بينهما فكل ملة دين ، وليس كل دين ملة :

(j'ai abandonné la religion d'un peuple qui ne croit pas en Allah)[19] .

(i have abandoned the religion of a people that believe not in Allàh)[20] .

ومنه كذلك مورفيم (ربّ) في الخطاب الآتي : ﴿ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ﴾ (يوسف ، 41) أيْ : يسقي سيّده ، والترجمة عبَّرت عنه بلفظ السيّد لا بلفظ الربّ ، والعرب كانت تستعمل لفظ (ربّ) مكان (سيّد) كقول الشاعر الجاهلي عدي بن زيد (ت 35 ق.هـ) : ـ الرمل ـ [21]

إِنَّ رَبِّي لَوْلَا تَـدَارُكَــهُ المُـلْـ ـكَ بِأَهْلِ العِرَاقِ سَاءَ العَذِيرُ

يعني بربّه سيّده النعمان بن المنذر .

وقول الأعشى (ت 625 م) : ـ الكامل ـ [22]

رَبِّي كَـرِيمٌ لا يُكَـدِّرُ نِعْـمَةً وَإِذَا يُـنَاشَـدُ بالمَـهَارِقِ أَنْشَدَا

(L'un de vous donnera du vin à boire à son maitre) [23]

(As for one of you , he will pour out wine for his lord (king or master) to drink [24]

ولنتأمل رؤيا الملك : ﴿ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾ (يوسف ، 43) في استعماله كلمة (سنبلات) بدل (سنابل) وسر ذلك أن هذا الأخيرة جمع كثرة ؛ بينما الأولى جمع قلة

وهو ما لم تجد له الترجمة فرقاً :

(Et le roi dit : en vérité , je voyais (en réve) sept vaches grasses mangées par sept maigres ; et sept épis verts , et autans d'autres) [25].

(And the king (of Egypt) said : verily , I saw (in a dream) seven fat cows , whom seven lean ones were devouring , and seven green ears of corn , and (seven) others dry) [26].

كما نلاحظ في بنية هذه الجملة البسيطة (أرسلونِ) المكونة من فعل وفاعل أنها اختيرت بدقة من حيث بلاغتها ؛ فلم يقل : (ابعثونِ) في قوله تعالى : ﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ (يوسف ، 45) وذلك لما بينهما من فرق ؛ كون البعث يكون بدون رسالة ، أما الإرسال لا يكون إلا برسالة أو ما يجري مجراها .

والأمر نفسه بالنسبة لكلمتيْ (سنة) و(عام) * وما بينهما من فرق دقيق في قوله تعالى :

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ . ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ . ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (يوسف ، 47 ـ 48 ـ 49) وذاك من أسرار الإعجاز اللفظي في القرآن ؛ فالسنة تقتضي مقام الشدة والمعاناة والتقتير في الأوقات والتضييق في الأرزاق ، أما لفظ (العام) يقتضي مقام الفرج بعد الضيق والرخاء بعد الشدة ، والخصب بعد القحط والجدب والجفاف ؛ في حين عبّرت عنهما الترجمة بلفظ واحد : (Année _ Year)

« Alors (Joseph dit) : vous sémerez pendant sept années consécutives . Tous ce que vous aurez moissonné , laissez le en épi , sauf le peu que vous consommerez . Viendront ensuite sept années de disette qui consommeront tous ce que vous aurez amassé pour elle sauf le peu que vous aurez réservé < comme semence > . Puis , viendra après cela une année où les gens seront secourus < par la pluie > et iront au pressoir »[27] .

كما كان لدقة الألفاظ أهمية كبرى في هذا الخطاب من خلال الفعل الرباعي المجرَّد (حَصْحَصَ) على وزن (فعْلَلَ) ؛ في قوله تعالى : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ (يوسف ، 51) إذ وُضِع موضعاً حسناً ؛ كما جاء بصيغة الماضي ؛ كونه قريب الوقوع لتقريب زمن الحال من المضي ، كما يجوز أن يكون المقصود به ثبوت الحق بقول النسوة ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ (يوسف ، 51) فيكون الماضي على حقيقته ، وتقديم اسم الزمان (الآن) للدلالة على الاختصاص . إضافة إلى « أننا نستمع إلى الصوت المدوّي ، إذ كانت الصاد واضحة الصدور من المخرج الصوتي ، فكانت "حصحص" واضحة الظهور بانكشاف الأمر فيما يقهره على الأذعان ، وهنا قد يمتلكك العجب لدى اختيار هذا اللفظ في أزيزه ، ووضوح أمره مع القهر ، فلا تردُّ دلائله ، ولا تخبو براهينه »[28] .

كما قد يظن المتكلم أو الكاتب في توظيفه للكلمات أنها ذات معنى واحد ، ولا يفرّق أثناء التوظيف بينها ؛ كالذي نجده في كلمة (مكّن) بدل (أقدر) و(تبوَّأ) بدل (تصرَّف) في قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ (يوسف ، 56) حيث التمكين إعطاء ما يصح به الفعل من العُدة والعتاد ، أما الإقدار إعطاء القدرة دونهما ، وفي ذلك يقول ابن الأثير (ت 637 هـ) : « ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتيْن تدلان على معنى واحد ، وكلاهما حسن

في الاستعمال ، وهما على وزن واحد ، وعدَّة واحدة ، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه ؛ بل يُفرَّق بينهما في مواضع السبك ، وهذا لا يدركه إلا من دَقَّ فهمه وجلَّ نظره » [29] .

كما عبَّر القرآن الكريم في هذا المشهد السردي بجملة (انقلبوا) بدل جملة (رجعوا) لما في ذلك من فرق هام بينهما في قوله عز وجل : ﴿ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ ... ﴾ (يوسف ، 62) حيث « الرجوع هو المصير إلى الموضع الذي قد كان فيه قبل ، والانقلاب المصير إلى نقيض ما كان فيه قبل ، ويوضِّح ذلك قولك : انقلب الطين خزفاً ، فأما رجوعه خزفاً فلا يصح لأنه لم يكن قبل خزفاً » [30] وهو ما لم تحافظ عليه الترجمة ؛ إذ اعتبرتهما مفهوماً واحداً :

(peut être les reconnaîtront ils quand ils seront de retour vers leur famille)[31] (to put their money (whit which they had bought the corn) into their might know it when they go back to their people)[32] .

والأمر نفسه في : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ (يوسف ، 85) فقد أقسم بأغرب ألفاظ القسم وهي (التاء) ، وبأبعد صيغ الأفعال الناسخة وهي (تفتأ) ، وذلك لأن (تفتأ) أغرب من (تزال) وأقل استعمالا منها ، ثم جاء بأغرب ألفاظ الهلاك وهو (الحرض) فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاوَرَ كل لفظة بالتي من جنسها في الغرابة ، وتقرنَ بها توخياً لحسن الجوار ورعايةً لائتلاف المعاني بالألفاظ [33] .

وفي الخطاب الموالي : ﴿ قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم ﴾ (يوسف ، 98) جاء مورفيم (سوف) بدل مورفيم (السين) ؛ لأن الأول يدل على المستقبل البعيد ؛ بينما الثاني يستعمل للمستقبل القريب ، لذلك وعدهم بالاستغفار بعد أن تهدأ نفسه وتستقر ويستريح ، ولم يفعل ذلك حينما طلبوا منه الاستغفار لهم أول مرة .

وكذلك لفظ (الملك) في قوله تعالى : ﴿ وقال الملك إني أرى سبع بقرات ... ﴾ (يوسف ، 43) وظّف السياق القرآني هذا اللفظ بدل لفظ (فرعون) مع أنه عبّر بهذا اللفظ زمن موسى ـ عليه السلام ـ لهو دليل قاطع على إعجاز القرآن العلمي ، وكذا لغتهم أيضاً كانت كنعانية قريبة من الآرامية والعربية ؛ بينما فرعون أمته تكلمت القبطية [34] .

كما كان لاختيار الكلمات دور بالغ في عملية السرد ؛ ككلمة (أنباء) عوض (أخبار) في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ (يوسف ، 102) وغيرها كثير في هذه السورة الكريمة .

وبذلك فاللفظ القرآني ليس كغيره من ألفاظ الكلام البشري ، فهو أسمى منها ، ولا مجال للمقارنة بينهما ويتحدد ورود كل لفظ في القرآن بمدى انسجام الجو العام للآية القرآنية ، فأيّ لفظ يتبلور معناه وفقاً للانسجام والسياق الذي يرد فيه ، ويشكل إلى جوار ألفاظ أخرى معنى عام يسيطر على ذلك الجو بما يحدثه من نغم موسيقي نابع من تآلف أصواته وحروفه من جهة ، ومن جهة أخرى الموضع الذي يحتله في السلسلة الخطية للكلام . وإن الإيقاع الذي يحدثه اللفظ ليس نابعاً من تلقاء ذاته ؛ بل هو عن حسن اختيار وروعة توظيف ليست مخوَّلة لأيٍّ كان من أرباب الصنعة ورواد الإبداع ، فالكلمة القرآنية لا تحتاج إلى من يضفي عليها ذاك الرونق والجمال ، فهي صادرة من ربّ السماء والأرض ، وقوتها تكمن في بلاغتها الأصلية وفصاحتها السرمدية.

إحالات البحث:

1 . الحسن بن عبد الله بن مهران أبي هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، تحقيق : محمد إبراهيم سليم ، دار العلوم والثقافة ، القاهرة (مصر) ، (د ط) ، 1997 ، ص 58 .

2 . محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، مراجعة : أحمد جاد ، دار الغد الجديد ، القاهرة (مصر) ، مادة (ف ر س) ، ط 1 ، 2007 ، ص 261 .

3 . الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة (مصر) ، ط 3 ، 1976 ، ص 41 .

4 . مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية ، ، المدينة المنورة (المملكة العربية السعودية) ، 1999 ، ص 236 .

5 . مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الانجليزية ، المدينة المنورة (المملكة العربية السعودية) ، 1985 ، ص 305 .

6 . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، دار ابن الجوزي ، القاهرة (مصر) ، ج 4 ، ط 1 ، 2013 ، ص 78 . وينظر الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، ص 241 .

7 . القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية ، ص 236 .

8 . القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الانجليزية ، ص 305 .

9 . مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الصحوة ، القاهرة (مصر) ، ط 1 ، 2008 ، ص 198 .

10 . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت (لبنان) ، ج1 ، (د ط) ، (د ت) ، ص 136 .

11 . الفروق اللغوية ، ص 150 .

12 . القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية ، ص 238 .

13 . القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الانجليزية ، ص 307 .

14 . أبو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، ص 233 .

15 . أحمد ياسوف ، جماليات المفردة القرآنية ، تقديم : نور الدين عتر ، رسالة ماجستير ، دار المكتبي ، دمشق (سوريا) ، ط 2 ، 1999 ، ص 30 .

16 . سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، دار الآفاق العربية ، القاهرة (مصر) ، ط 1 ، 2006 ، ص 264 .

17 . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار ابن حزم ، بيروت (لبنان) ، ط 1 ، 2012 ، ص 612 .

18 . صديق بن حسن خان القنوجي ، أبجد العلوم ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت (لبنان) ، ج 2 ، 1978 ، ص 338 . وينظر أبو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، ص 220 .

19 . القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية ، ص 239 .

20 . القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الانجليزية ، ص 308 .

21 . محمد جبار المعيْبد ، ديوان عدي بن زيد العبادي ، دار الجمهورية ، بغداد (العراق) ، (د ط) ، 1965 ، ص 92 .

22 . محمود إبراهيم محمد الرضواني ، ديوان الأعشى الكبير ، وزارة الثقافة والفنون والتراث ، الدوحة (قطر) ، ج1 ، ط1 ، 2010 ، ص 229 . وينظر محمد فوزي حمزة ، دواوين الشعراء العشرة ، مكتبة الآداب ، القاهرة (مصر) ، ط 1 ، 2007 ، ص 301 .

23 . القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية ، ص 240 .

24 . القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الانجليزية ، ص 309 .

25 . القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية ، ص 240 .

26 . القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الانجليزية ، ص 309 .

* يقول الرافعي : « لذلك حرَّموا ترجمة القرآن إلى اللغات ، فإن الترجمة لا تؤديه البتة ، ولو هي أدت معانيه كما يفهم أهل عصر ، بقي منها ما ستفهمه العصور الأخرى ، وأشهر وأدق ترجمة للقرآن في اللغة الفرنسية ترجمت فيها هذه الآية : ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ؛ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ... ﴾ (البقرة ، 187) . فكانت الترجمة هكذا : هن بنطلونات لكم وأنتم بنطلونات لهن ... وكيف لعمري يمكن أن يترجم هذه الكتابة الدقيقة وجه من وجوه إعجاز القرآن للغات العالم كافة » (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص 218) .

فالآية السابقة من سورة البقرة ترجمت كالتالي :

« On vous a permis , la nuit d'as_Siàm , d'avoir des rapports avec vos femmes ; elle sont un vêtement pour vous , et vous étes un vêtement pour elle » .

27 . القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية ، ص 241 .

28 . محمد حسين علي الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن ، ص 181 .

29 . أبو الفتح نصر الله ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تقديم وتعليق : أحمد الحوفي وبدوي طبانه ، دار النهضة ، القاهرة (مصر) ، ج1 ، (د ت) ، ص 150 .

30 . المصدر نفسه ، ص 242 .

31 . القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية ، ص 242 .

32 . القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الانجليزية ، ص 312 .

33 . عبد الرحمان بودرع ، في لسانيات النص وتحليل الخطاب : نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم ، المؤتمر الدولي للدراسات القرآنية ، ص 42 .

34 . محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية ، تونس ، ج 12 ، (د ط) ، 1984 ، ص 280 .

. المصادر والمراجع :

. القرآن الكريم .

(1) ـ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت (لبنان) ، ج1 ، (د ط) ، (د ت) .

(2) ـ أبو الفتح نصر الله ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تقديم وتعليق : أحمد الحوفي وبدوي طبانه ، دار النهضة ، القاهرة (مصر) ، ج1 ، (د ت) .

(3) ـ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار ابن حزم ، بيروت (لبنان) ، ط1 ، 2012 .

(4) ـ أحمد ياسوف ، جماليات المفردة القرآنية ، تقديم : نور الدين عتر ، رسالة ماجستير ، دار المكتبي ، دمشق (سوريا) ، ط2 ، 1999 .

(5) ـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، دار ابن الجوزي ، القاهرة (مصر) ، ج4 ، ط1 ، 2013 .

(6) ـ الحسن بن عبد الله بن مهران أبي هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، تحقيق : محمد إبراهيم سليم ، دار العلوم والثقافة ، القاهرة (مصر) ، (د ط) ، 1997 .

(7) ـ الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة (مصر) ، ط3 ، 1976 .

(8) ـ سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، دار الآفاق العربية ، القاهرة (مصر) ، ط1 ، 2006 ، ص 264 .

(9) ـ صديق بن حسن خان القنوجي ، أبجد العلوم ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت (لبنان) ، ج 2 ، 1978 .

(10) ـ عبد الرحمان بودرع ، في لسانيات النص وتحليل الخطاب : نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم ، المؤتمر الدولي للدراسات القرآنية .

(11) ـ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، مراجعة : أحمد جاد ، دار الغد الجديد ، القاهرة (مصر) ، مادة (ف ر س) ، ط1 ، 2007 .

(12) ـ محمد جبار المعيْبد ، ديوان عدي بن زيد العبادي ، دار الجمهورية ، بغداد (العراق) ، (د ط) ، 1965 .

(13) ـ محمد حسين علي الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن ، دار المؤرخ العربي ، بيروت (لبنان) ، ط1 ، 2000 .

(14) ـ محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية ، تونس ، ج 12 ، (د ط) ، 1984 .

(15) ـ محمد فوزي حمزة ، دواوين الشعراء العشرة ، مكتبة الآداب ، القاهرة (مصر) ، ط1 ، 2007 .

(16) ـ محمود إبراهيم محمد الرضواني ، ديوان الأعشى الكبير ، وزارة الثقافة والفنون والتراث ، الدوحة (قطر) ، ج1 ، ط1 ، 2010 .

(17) ـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية ، ، المدينة المنورة (المملكة العربية السعودية) ، 1999 .

(18) ـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الانجليزية ، المدينة المنورة (المملكة العربية السعودية) ، 1985 .

(19) ـ مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الصحوة ، القاهرة (مصر) ، ط1 ، 2008 .